

استراتيجيات إرساء منظومة مصطلحية في الدراسات الأدبية والنقدية
- مصطلح السيميائية أنموذجاً -

Strategies for establishing a terminological system in literary and critical studies
- the term semiotics as a model -

أسماء مسلوب *

جامعة أمحمد بوقرة-بودواو-بومرداس (الجزائر)

a.mesloub@univ-boumerdes.dz

تاريخ النشر: 2024/03/30

تاريخ القبول: 2023/11/26

تاريخ الإرسال: 2023/06/05

ملخص:

تروم هذه الورقة البحثية إلى إبراز أهم التقنيات والاستراتيجيات التي يستعين بها المترجم واهل الاختصاص عند نقل المصطلح من بيئته الغربية إلى حقل الدراسات الأدبية أو توظيف التراث العربي، كما نعرّج لذكر أهم الصعوبات التي تعرقل المسار الترجمي مع اقتراح بعض السبل الناجعة لتجاوزها واستدراكها انطلاقاً ممّا ذهب إليه أهل الاختصاص وكأنموذجاً اخترنا مصطلح السيميائية كعيّنة للدراسة مدعّمين كلّ ما نذهب إليه بأمثلة توضيحية.

عكفت أقلام الدارسين والمترجمين لبلورة جهاز مفاهيمي يضم بنك مصطلحات باستثمار عدّة تقنيات وواجهتهم مصاعب حالت دون ذلك أهمّها التعدّد المصطلحي الذي خلق نوع من الضبابية والتعتيم وطغيان الجهود الفردية والذي نتج عنه العشوائية والتشعب والارتجالية مع عدم مراعاة البيئة الأصلية وسياق المصطلح الأجنبي ليوائم البيئة العربية ولن نستدرك هذه الثغرات ونخفّف من حدّتها إلاّ بتكاثف الجهودات من عدّة تخصّصات وتخصّص هيئات علمية ومجتمعات لغوية تتكفّل بذلك وترسي منظومة مصطلحية موحّدة وثابتة.

الكلمات المفتاحية: بنك مصطلحي؛ جهاز مفاهيمي؛ الدراسات الأدبية؛ منظومة مصطلحية؛ السيميائية.

ABSTRACT :

This research paper aims to show the most important techniques and strategies used by the translator and specialists when transferring the term from its western environment to the domain of literary studies or employing the Arab heritage. We also mention the most important difficulties that obstructs the translation path, with suggesting some effective ways to overcome and recover it, based on what the specialists went to, and as a model, we chose the term semiotics as a sample for the study, supported by illustrative examples.

The pens of scholars and translators have been working to clarify a conceptual device that includes a terminology bank by investing several techniques, and they faced difficulties that obstructed it, the most important was the terminological multiplicity, which created a kind of fog and blackout, and tyranny of individual efforts, which resulted in randomness, bifurcation and improvisation, without taking into account the original environment and the context of the foreign term to suit the Arab environment, and we will not compensate for these gaps and alleviate them

only by intensifying efforts from several disciplines and allocating scientific bodies and linguistic communities to ensure this and establish a unified and stable terminology system.

Keywords: terminological bank; conceptual device; literary studies; terminological system; semiotics.

1. مقدمة:

الخطاب السّردي باب مفتوح لا يوصد أبوابه وحقل خضب يستقطب أقلام الدّارسين والنّقّاد عكفت تنظيراً وتطبيقاً على فكّ شفراته وسبر أغوارها والسّير في متاهاته ولا يزال محل اهتمامهم ومحور انشغالهم فقد شكّلت اجتهاداتهم مادّة دسمة ومرجعاً أساسيّاً سواءً عند الدّارسين الغربيين والغرب، وتمخّضت عن هذه الاجتهادات مناهج نقدية سعت لتوفير آليات إجرائية واقتراح استراتيجيات فعّالة لقراءة النّص السّردي، وقد تباينت رؤاها وطرائق تحليلها فلكلّ خلفية معرفية ينطلق منها ووجهات نظر يتبنّاها، وممّا لاشكّ فيه أنّ المصطلح هو اللبنة الأساسيّة لهيكلة معماريّة كلّ منهج، ومن أهمّها نذكر على سبيل المثال لا الحصر المنهج السيميائي والذي ارتأينا أن يكون أنموذجاً نسعى لتسليط الضّوء عليه، ولا مناص من ضرورة الإقرار بالضبابية التي يتّسم بها والعشوائية التي يتخبّط فيها نتيجة لعدّة عوامل سيّتمّ ذكرها لاحقاً، ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا تساؤلات عديدة ولعلّ أبرزها: يا ترى ما أهمّ العراقيل التي تحول دون إرساء ترسانة مصطلحية والعقبات التي تواجه الباحثين وأهل الاختصاص؟ هل بالإمكان محاولة مواكبة الحداثة الغربيّة دون تلقيحها بمجهودات الدّارسين العرب واثمين مجهوداتهم؟ وهل بالإمكان تحديد معالم زئبقية المصطلح؟ وكيف السبيل الناجعة لتجاوزها واستدراك الثغرات؟ ما الاقتراحات والبدائل الممكنة للحدّ منها وتجاوزها للتخفيف من حدّتها؟.

هذه التّساؤلات وغيرها نحاول الاستفاضة فيها لاحقاً لبلوغ ما تهدف إليه هذه الدّراسة والتي يمكن إجمالها في عدّة نقاط من أهمّها استجلاء جلّ الصّعوبات التي تحول دون إرساء بنك مصطلحات موحد وثابت كما نوضّح أهمّ التحدّيات التي تواجه المترجمين وأهل الاختصاص مع اقتراح سبل لتذليل الصّعوبات والحدّ من تفاقم إشكالية بلورة جهاز مفاهيمي يخصّ الدّراسات الأدبية والنقدية ومصطلح السيميائيّات كأنموذجاً للدّراسة مستعنيين بالمنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي مدعّمين كلّ ما نذهب إليه بأمثلة توضيحية لكيفية ترويض المصطلحات وتطويعها ولتأسيس ترسانة مصطلحية موحّدة وثابتة.

2. عقبات تأسيس رؤية معرفية للمصطلح النقدي السيميائي أنموذجاً في الدّرس العربي:

كثرة الجدل حول إمكانية تأسيس بنك مصطلحات موحد وثابت قائم بذاته في الدّراسات الأدبية والنقدية فتأرجحت الرّؤى بين التعريب والترجمة وتوظيف آليات لغوية لتوليد مصطلحات وبين التنقيب في التراث العربي أو الاكتفاء بمجاعة كلّ ما نتلقاه من الدّراسات، ولهذا وفي خضمّ هذه الآراء المتباينة تولّدت صراعات فكرية وتمخّضت اجتهادات ثمنت الدّرس الأدبي.

1.2. أهمية رسم معالم مصطلحية لرصد رؤية معرفية نقدية:

يتّسم المصطلح بحمولته الذاتية الفكرية الثقافية كماله أبعاده الإيديولوجية ولهذا وجب رسم رؤية معرفية دقيقة لمساره المعرفي نظراً لأهمية المصطلح باعتباره مفتاح العلوم الذي يفكّ شفرات أفكارها ويؤطر مفاهيمها ولهذا أصبح الاهتمام به ضرورة حتمية، فهو "لفظ موضوع يؤدي معنى معيناً بوضوح ودقة، بحيث لا

يقع فيه أي لبس في ذهن القارئ أو السامع"¹، يقوم على معايير متفق عليها من أهل الاختصاص حيث يقومون " بمحاولة للتصنيف في أقسام ينبغي أن تكون قائمة على وجوه شبه أو خلاف في كل ما يدخل في القسم المفترض وتميز عما عداه، ولهذا لجأ أهل الاصطلاح إلى التعريف لكي يجدوا به المعرف بحيث يكون جامعاً مانعاً"².

وقد انفرد المصطلح النقدي بخصوصيات متميزة ولعل أهمها " خصوصية دلالية ومعرفية، يقترب من خصوصية الرمز اللغوي، سواء أكان مفرداً أو مركباً، تنحصر دلالته في المكون الدلالي والمفهومي الذي يربطه بصورة مباشرة بالدلالة النقدية الواضحة المتفق عليها والمتداولة بين المشتغلين بحقل معرفي، فهو شفرة الخطاب النقدي لولاه لما كانت المعرفة وتحدد هويته كمصطلح بشيوعه وتداوله"³، في الساحة النقدية والممارسات في الدراسات التطبيقية.

وبما أن كل منهج نقدي قائم على ترسانة من المصطلحات توضح آلياته الإستراتيجية "فالعلاقة بين المنهج والمصطلح تقوم أساساً على مبدأ التجاذب والتفاعل بينهما، وهذا ما يفسر أن لكل منهج نقدي جهازه الاصطلاحي الخاص به"⁴، يقوم عليه، وما هو ملاحظ في صياغة المصطلحات في الساحة النقدية العربية نوعاً من التشتت والضباب حيث "تعدُّ إشكالية المصطلح من أهم المشكلات التي ما زالت تمثل عقبة أساسية في النقد الأدبي؛ وهي ما زالت تؤثر سلباً في شتى ضروب الممارسة النقدية الأدبية، وفي الدراسات والبحوث الأدبية سواء أكان ذلك في الحقل الأكاديمي أم في حقل الدراسات النقدية"⁵، وهذا ما سيؤثر حتماً على تلقيها وإرساء مرتكزاتها. وبالنسبة للأونة الأخيرة فقد "شهدت ركونا ونوعاً من الجمود كلفها تبعات غريبة للمصطلحات العلمية بسبب نقلها من الغرب إلى العرب عن طريق الترجمة والتعريب، وهذه ضرورة حتمية مثلت مرحلة انتقالية في الحياة العربية لتقدم فنونها وعلومها عن طريق عمليتي الترجمة والتعريب، مما ولد أزماً متتالية عادت بالسلب على الفهم وتقدم العلوم"⁶.

تميزت الحركة النقدية في الساحة الأدبية كما حظيت بحضور لا بأس به في مجالي التجريب والنقل والتعريب بفعل المثاقفة والاحتكاك والانفتاح على المناهج النقدية الغربية الوافدة إلى الساحة الفكرية العربية التي تميزت بالنزعة الفردانية عند طرح الأفكار نتيجة تعزيز خاصية الانتماء إلى الذات مما أدى إلى حدوث تباين بين التنظير والممارسة، إضافة إلى تغييب الجوانب الإستيمولوجية والفكرية والفلسفية، "الحركة النقدية الأدبية في الوطن العربي، وبهذا يتضح لنا أهمية ربط فهم طبيعة المصطلح مع الرؤية المصاحبة للمرجعية أو الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، لتحقيق توازن العلاقة الديالكتيكية بين العناصر الفاعلة القارئ والنص خاصة إذ تعلق الأمر بصورة عامة في إشكالية التعامل التي مؤداها التلقي السلبي الذي لا تكون لديه أي إضافة أو تعقيب يثري بها بل يكتفي بما يستقبل ويقدم إليه"⁷.

والمصطلح النقدي يقوم على أسس ومرجعيات وخلفيات و"لا ينحت من العدم وإنما يكون حاملاً لدلالات الحقل المعرفي الذي نشأ فيه، أي إن له ثوابت معرفية ولغوية مطلقة، وخصوصية تربطه بجذوره الأولى سواء أكانت فكرية، أم فلسفية، أم دينية، تجعله محملاً بزخم معرفي وفكري خاص بالحقل الذي تشكل فيه فيكتسب مفهومه ودلالته الأولى"⁸، لأن المصطلحات أصلاً "ليست غاية في حد ذاتها لأنها تختلف من علم لآخر ومن صناعة لأخرى، وهدفها تقريب العلوم من طلابها" حيث تسعى إلى تسليط الضوء على "تعدد صور فهم

القراء المختلفين للمصطلح نفسه وفي السياق النصي نفسه، وذلك لأن قدرات القراء على الفهم والتحليل تتفاوت كثيراً نظراً لتفاوت الخزين الثقافي والمعرفي من قارئ إلى آخر⁹.

والمتمصفح للدراسات الغربية يجد أن يصنفون بين نوعين من المفاهيم "فالأول هو terminologie والذي يبحث في المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية، والثاني terminographie والذي يهتم بتوثيق المصطلحات ومصادرها والمعلومات المتعلقة بها ونشرها في معاجم مختصة يمكن أن تكون إلكترونية أو ورقية"¹⁰، على حسب نوعية الموضوع وطبيعة الدراسة.

2.2. المصطلح النقدي بين مطرقة الترجمة وسندان التعريب إلى التّعليم والتّعميم:

كما ذكرنا سلفاً لكلّ حقل معرفي خصوصياته وميزاته ومبادئ يقوم عليها وآليات استراتيجية يسير وفقها فمثلاً "القضايا الأدبية والنقدية لها خصوصياتها لارتباطها بالعلوم الإنسانية التي لا تعرف الثبات والاستقرار فهي دائماً حركة وتطور وجدلية مستمرة ومن ثمّ فإنّ الناقد الأدبي يستمدّ منهجه ورؤيته للحياة من واقعه المعيشي ومن التطور الذي يعرفه مجتمعه"¹¹، والعالم بأسره في شتى الميادين وجلّ المعارف وذلك بمجاعة ذلك التدقيق الهائل من التطورات التي تمس جميع الميادين وأصبحت بينهما علاقة تأثير وتأثر لأنّ العلوم أصبحت تتلاقح فكرياً بفعل المثاقفة ومما لا شكّ أنّ المركزية الغربية كانت لها بصمتها في ذلك لأنها قبلت كلّ من يبحث عن التنظير أو الاستزادة لأنّه يرجع لها قصب السبق بأعمالها الرائدة في جل الميادين دون أن ننسى طبعاً التراث العربي الأصيل وما يحويه من كنوز معرفية ثمينة تنتظر من يستنبطها ويستثمرها.

مما لا شكّ فيه أنّ هناك الكثير من العقبات التي تحول دون التأسيس لجهاز مفاهيمي حوي منظومة مصطلحية ثابتة واضحة وموحدة في الدرس العرب وفيما يلي سنحاول إدراج أهم العقبات التي تحول دون ذلك ولعلّ أهمّها طغيان الجهود الفردية حيث أنّنا نجد الذاتية والارتجالية عند وضع المصطلحات في المجال النقدي والاعتماد على الجهد الفردي، لأنه يخال انه ضليع ولذا وجب "توحيد اللغة الاصطلاحية المتخصصة، أو ما يسمى بالإنجليزية jargon أو register، في كل حقل من حقول العلم وذلك من خلال بناء جهاز من المقولات الاصطلاحية المتخصصة لكل حقل على حدة... القضاء، أو محاولة القضاء، على كل صور الغموض والإبهام في الكلام العلمي من خلال اعتماد مصطلحات تتسم بدرجة عالية من الوضوح ومن ثبات المضامين أو المفاهيم التي تعبر عنها هذه المصطلحات من البدء حتى المنتهى وفي مختلف الأبحاث"¹²، والأعمال وهذا ما يتجلى واضحاً.

ضف إلى ذلك عوامل شتى أخرى نذكر على سبيل المثال لا الحصر "ولادة المصطلح النقدي في سياق ثقافي مغاير، فقد استهدى الباحثون بوسائل عديدة لوضعه مثل الاشتقاق، والترجمة، والمجاز، والتوليد، والتعريب، فرفدت النصوص بمصطلحات كثيرة وجديدة مما أدى إلى هيمنتها واضطرابها، وخلط في تداولها واستعمالها وكل ذلك ولد العديد من المشكلات في استخدام المصطلح من أكثرها أهمية"¹³، وحتى بالنسبة لدور ترجمة المصطلحات وتعريبها نجد أنّها "أديا إلى تذبذب مفاهيم بعض المصطلحات العلمية بين الدارسين لعدم قدرة المترجمين وناقلي المصطلحات من الغرب إلى الوطن دون دراسة ودون تنسيق لعدم إيجاد المصطلح المكافئ في اللغة والهدف، مما ولد حالة من الفوضى المصطلحية على المصطلح العلمي الواحد بسبب عدم

توحد جهود الترجمة والنقل بين الأقطار العربية، والتي تزال لحد الآن تفتقر إلى منظومة ومعايير موحدة بين أقطار الوطن العربي"¹⁴.

المصطلح هو همزة وصل بين القارئ والنص لأنه مفتاح فك شفراته لفهمه وتأويله لهذا "إشكالية المصطلح لا تقتصر على الجوانب الاشتقاقية أو الدلالية أو المعجمية فحسب، كما قد يبدو لبعض الباحثين، وإنما هي إشكالية معقدة ومتعددة الجوانب، فهي إشكالية منهجية وتعليمية (بيداغوجية) وأيديولوجية وإدراكية وثقافية ومعرفية وإعلامية ومؤسسية في آن واحد"¹⁵، وهذا ما خلق خلط وضبابية وعدم دقة أثناء وضع المصطلح حيث يحاول واضع المصطلح "فرض مصطلحه المؤسس على شكل أدبي مستحدث، وفي الوقت ذاته يلقي هذا المصطلح رواجاً في الأوساط اللغوية والنقدية"¹⁶، استعمال مصطلحات فضفاضة وعدم حصرها في مفردات موحدة متخصصة، ولهذا وجب عدم تغييب الإستراتيجية الممنهجة لوضع المصطلح وأخذ بعين الاعتبار سياقه التاريخي في لغته الأصلية ومواكبة التطور الحاصل فيه.

ورغم التراكم المعرفي في المنظومة العربية النقدية العربية لا يزال "المصطلح النقدي لا يزال بحاجة إلى دراسات نقدية للبحث في مشكلاته، لأنها مصطلحات حديثة ظهرت في هذا العصر الذي تشابكت في التخصصات وتداخلت خصوصاً في الدراسات النقدية إضافة إلى وجود مبالغة في بعض الدراسات النقدية في استخدام تعابير ومصطلحات جديدة سواء كانت مشتقة أو معربة، وبعضها منحوت يفتقر إلى دقة الترجمة أو مبتور الصلة عن المعنى الذي وظفت لتوضيحه"¹⁷، وهذا ما أدى إلى "عدم وجود منهج واضح محدد المعالم والمصطلحات التي تحدد المنطلقات الأساسية للدراسات النقدية، وكذا غياب الآليات الإجرائية التي تعنى بتحليل النصوص الأدبية والكشف عن نواحيها وقيمتها الأدبية والجمالية"¹⁸، لأن عدم استقرار المصطلح يؤدي إلى تذبذب وعشوائيته في الجهاز المفاهيمي الذي يقوم عليها المنهج.

3. سبل مقترحة لتجاوز عقبات المترجمين واستدراك ثغرات الدارسين:

ومما لا ريب فيه أن النقد وأهل الاختصاص كانت لهم إسهامات وبذلوا مجهودات لا بأس بها فقد "حظي المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية والمعاصرة بعناية من الدارسين والباحثين، وقد أسهمت جهودهم في المؤتمرات والندوات والبحوث والدراسات المنتشرة والمستمرة والكشف عن مشكلات المصطلح النقدي، ولكن أنظارهم صرفت في الجملة إلى تناول جزئيات محددة تتعلق بواحد من المصطلحات النقدية المطروحة مثل : الشعرية، والأسلوبية، والبنوية، والحدائث والتفكيكية والتفسيرية والتناسخ، والسردية، والظاهراتية، ونحو ذلك من المصطلحات التي استعمل معظمها في غير ما أرادها أصحابها الأجانب لها"¹⁹، كما أن هناك تفاوت في فهم المصطلح من ناقد إلى آخر وأحياناً عند الناقد نفسه وكذا استخداماته التي تنوعت"²⁰، هذه الإشكاليات نجم عنها عدم القدرة على ضبط الأدوات الإجرائية والآليات الإستراتيجية الذي يقوم عليها المنهج لعدم استقرار منظومته المصطلحية كما هو معلوم المصطلح النقدي مشحون دلاليًا ودسم معرفيًا، لهذا وجب أخذ بعين الاعتبار أبعاده الإيديولوجية والاستمولوجية وغربلة مناهله العلمية ومصادر ترجمته، ويبقى "الخطاب النقدي نص جامع للأنواع المختلفة للخطاب الأدبي الموجود داخل النص في تقاطعاتها وتحاوراتها وتزامناتها"²¹، لهذا وجب عدم سلخ المصطلح من بيئته الأصلية وعزله تماماً عنها بل يجب أخذ بعين

الاعتبار، وعدم إدراجه في سياق جديد كي لا ينحرف عن معناه الأصلي، حيث لا مناص من الإقرار بأن الحقائق اليت لا يمكن تجاوزها والمسلمات التي علينا الاعتراف بها " أن هذه المناهج لابد لقيامها من ترسانة مصطلحية توضع أهدافها ومعانيها وجديدها، ولذلك انتقل المصطلح مع المنهج وحدث اضطراب، حيث اختلف النقاد في استعمال المصطلح وذلك لغموض مفهومه واختلفوا كذلك في استعمال بعد تعريبه أو ترجمته، أم استعماله بعد أن يبحث له عن مقابل أم يستعمل بلغته الأصلية فأصبح المصطلح عويصا بين يدي النقاد²²، لكن لا نستطيع إنكار حقيقة أن "المصطلح النقدي لا يزال بحاجة إلى دراسات نقدية للبحث في مشكلاته، لأنها مصطلحات حديثة ظهرت في هذا العصر الذي تشابكت في التخصصات وتداخلت خصوصا في الدراسات النقدية"²³، فيما بينها، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: سميولوجيا، علم السيميائيات، السيميوتيك، السيميوطيقا / الشعرية، فن الشعر، القول الشعري، الشاعرية، نظرية البيان، الأدبية، الشعرانية، الشعرية، الشعرانية / التناص، المناص، معمارية النص، التعالق النصي، الميئناص، المناص / الانزياح، العدول، الانحراف، الانعطاف، المخالفة، / الأسلوبية، علم الأسلوب، الأسلوبيات، / التفكيكية، التقويض، التشرحية، التفكيك، وكأنموذجاً للدراسة ارتأينا إمطة اللثام عن مصطلح السيمائية لغناه وثرائه حيث احتفت به الساحة الأدبية وشغل أقلام الدارسون وحرروا في مصنفات.

وما هو ملاحظ أن هناك اضطراب في تحديد دقيق وضبط للمصطلح مع ضبابية وفوضى وعشوائية في الاستخدام وعدم مواكبة التطور اللغوي الذي يمس تقريبا جميع المجالات، " فوضوية المصطلح مشكلة تعود أسبابها إلى كثرة المصطلحات وتعددتها بالنسبة للمفهوم الواحد، خاصة وأننا نأخذ المصطلحات من غيرنا"²⁴، ولهذا وجب تأسيس مفاهيم تستوعب وتكون ملمة من جوانب عدة لمواكبة التصورات الجديدة وتقابل كل لفظة مصطلح واحد، لأنه لا "يمكن قراءة الخطاب النقدي برمته من خلال تفكيك جهازه الاصطلاحي"²⁵، الذي يقوم عليه.

"وفي وسط هذا الركام الذي لا طائل منه والذي مرّده طغيان الجهود الفردانية على الجماعية، وكذا تباين المدارس الغربية التي نهل منها هؤلاء، وفي ظل الانغلاق على الذات، وضعف التنسيق، كانت أزمة المصطلح التي أدت إلى وقوع عدد غير من الباحثين في مزالق نقدية"²⁶، وبهذا يصبح المصطلح النقدي "لم يعد وسيلة لتقريب المعنى، بل أصبح قناعة في حد ذاته وتحول إلى قضية ترجمة ليس إلا"²⁷.

ولكي لا يدخل الباحث في دوامة التعدد المصطلحي وجب أن يركز على خلفية ثقافية ومرجعية علمية لا بأس بها وعدم "الاعتماد على لغة المعاجم والقواميس واتخاذها متكأ في النقل والترجمة، وهذا ما أوجد حالة من الفوضى انحرفت فيه الدراسة عن أسس البحث العلمي، ولعل السبب الناتج عن هذا الإخفاق يستند أساسا إلى طريقة نقل المصطلح الأجنبي بصفة عامة²⁸، بالإضافة إلى "اختيار مصطلحات عشوائية وغامضة تفتقد إلى خصائص المصطلح النقدي وشروط صياغته التي اتفق عليها العلماء، لا توصل المتلقي مباشرة إلى المعنى الواضح، ولا تلم بفكرة محددة من مثل: انطولوجي، أوتبيوجرافي، فانتاستيك، سوسيولوجي، كرونك، سيكرونك، فونولوجي"²⁹.

ونجد من ناحية أخرى "أبرز مظاهر الأزمة التي يتخبط فيها الخطاب النقدي العربي المعاصر تعود إلى الانفتاح اللامشروط الذي شهدته الدوائر الفكرية العربية على غيرها من الغرب، دون محاولة لتصفية هذا

الوافد من شوائب الانتماء"³⁰، وكذلك عدم وجود تنسيق بين وجهات نظر واقتراحات النقاد والدارسين وتفضيل الجهود الفردية وهذا يخلق أزمة تعدد المصطلحات لأن "إشكالية تغييب الرؤيا الجماعية التي هي الأساس المنهجي المعتمد في دوائر الفكر والمعرفة، وتكريس النظرة الاستعلانية الثقافية الفردانية أثناء عملية الترجمة والتعريب، مما ساهم بشكل أو بآخر إلى تعدد الآراء وتشعبها بين النقاد والدارسين إزاء المصطلح النقدي الواحد داخل دوائر البحث العلمي، نظرا لغياب الدراسة الأكاديمية الموضوعية المحايدة"³¹.

لهذا وجب على الدارسين وأهل الاختصاص "مراجعة جميع المصطلحات النقدية الموجودة، وإعادة النظر فيها بغية تصحيحها وتطويرها، حتى نتفادى تلك الفوضى المصطلحية التي تشهدها الساحة النقدية العربية الحديثة، ونضمن بذلك تنسيقا عربيا جماعيا موحدا على الصعيدين الإقليمي والعربي، نوحّد من خلاله المصطلحات في شكل قاموس مصطلحاتي عربي؛ لأنّ فوضى المصطلحات، اضطرابها حيناً، وغموضها أحيانا أخرى، تركت الخطاب النقدي ... غارقا في قلب الأزمة المصطلحية، وهي أزمة تولدت من جرّاء تباين ترجمة المصطلحات، ومن اختلاف مشارب النقاد الثقافية والفكرية، وكذا من تلك المصطلحات البديلة المصطنعة والتي تفتقر إلى الدقة"³²، فكل ناقد يتسم بسمات تختلف عن ناقد آخر لكن يسعى لتأسيس تصورات النقدية ويعكف لإنشاء منهج خاص به معتمدا على أدوات إجرائية لتجذير الأسئلة وإنتاج المعرفة النقدية في الإطار المحدد لها³³، لكن هذا ما زاد في ضبابية المصطلح النقدي وهذا ما سيؤثر بصفة حتمية على المناهج النقدية ومدى استيعابها سواء في الدرس الجامعي أو الساحة النقدية العربية.

ومما لا ريب فيه لا يمكننا الفصل بينهما لأن "بين المنهج والمصطلح النقيدين قرابة تجعل من العسر بمكان أن يفهم أحدهما بمعزل عن الآخر فائتاء القراءة النقدية لا يستطيع أن يستغني عن المنهج أو عن المصطلح، ذلك أن القراءة المنهجية تقتضي التوظيف الاصطلاحي كما أن المصطلح يحدد المسار المنهجي للقراءة"³⁴، فقد عده أهل الاختصاص من الدارسين "فارس النص الذي يقود قطيع الفكر فتنتظم من خلفه جيوش الكلام وتفتح قلاع الذهن والوجدان"³⁵.

ولعل السبب الرئيسي و"الدافع الأساسي وراء كل هذا الأداء الإجرائي الذي يتوسل بالمصطلح النقدي أثناء عملية الفهم والتحليل، تحديد المجال المعرفي في ضوء مسالكة القرائية المنضوية تحت مقاييس التفكير السليم المصاحب للمبادئ الأساسية من حيث الخطوات والنتائج، مما يسمح في المقابل ربط عملية التواصل والتجاوب على نطاق واسع بين الحضارات في المجال التداولي، وأكبر دليل على هذا الصدى تناوله من طرف الفئات والشرائح على اختلاف مستوياتهم ومشاربهم وتوجهاتهم"³⁶.

ولا يمكننا إنكار الدور الفعال للمفاهيم المصطلحية وأهمية إرساء ترسانة المصطلحات النقدية و "المفاهيم المحيطة بالنص أو التي تدور في فلكه إنما تعمل على الإفصاح عن دلالات توفيقية يكون فيها للاستنتاج الذي يخالط العملية النقدية دورا أساسيا قائما على استدراج الحقائق من خلال تنظيم المنظومات الفكرية التي يتعامل معها الخطاب النقدي، بمعنى أن يتعامل الناقد مع الخطاب الأدبي من منطلق الإحاطة بكل المفاهيم والارتباطات الهامة التي يتشعب عنها السياق الحقيقي لكي يوحى بأن المنجزات النقدية هي تعبير مستوف للمعبر عنه"³⁷.

كما أنّ إدراج المصطلح النقدي وتوظيفه ووضع " في تربة غير تربته، وهو إن دل على شيء أنما يدل على الخصوصية الحضارية التي ينتمي إليها المصطلح، وأن تجريد هذا المصطلح من دلالاته التي اكتسبها في بيئته الأصلية أو محاولة نقله إلى الثقافة العربية بكل ما تحمله من زخم فكري يخلق أزمة مصطلحية بين المشتغلين في حقل الدراسات النقدية، فتتعدد الترجمات للمصطلح الواحد وينحاز كل ناقد للمرجعية التي يدين بها، ويبقى الخطاب عائماً بالمصطلحات الغربية فتغيب الدلالة وتكون الأزمة"³⁸.

"يلم شعثها وينظم أطرافها وتوجهاتها في ضوء انجازات جديدة تتجاوز حدود الاختلاف بين المناهج النقدية، والانحياز لآليات تشبع بعضها دون الآخر، على اعتبار أن المفاهيم المحيطة بالنص أو التي تدور في فلكه إنما تعمل على الإفصاح عن دلالات توفيقية يكون فيها للاستنتاج الذي يخالط العملية النقدية دوراً أساسياً قائم على استدراج الحقائق من خلال تنظيم المنظومات الفكرية التي يتعامل معها الخطاب النقدي"³⁹، ويبقى المصطلح النقدي محل جدال الدارسين والنقاد فقد أسال الحبر الكثير باعتباره تأشيرة لسر أغوار الخطاب النقدي عبر فك شفراته عن طريق آلياته الإستراتيجية وتراهن على مشروع نقدي بامتياز يحدد معالم هويته.

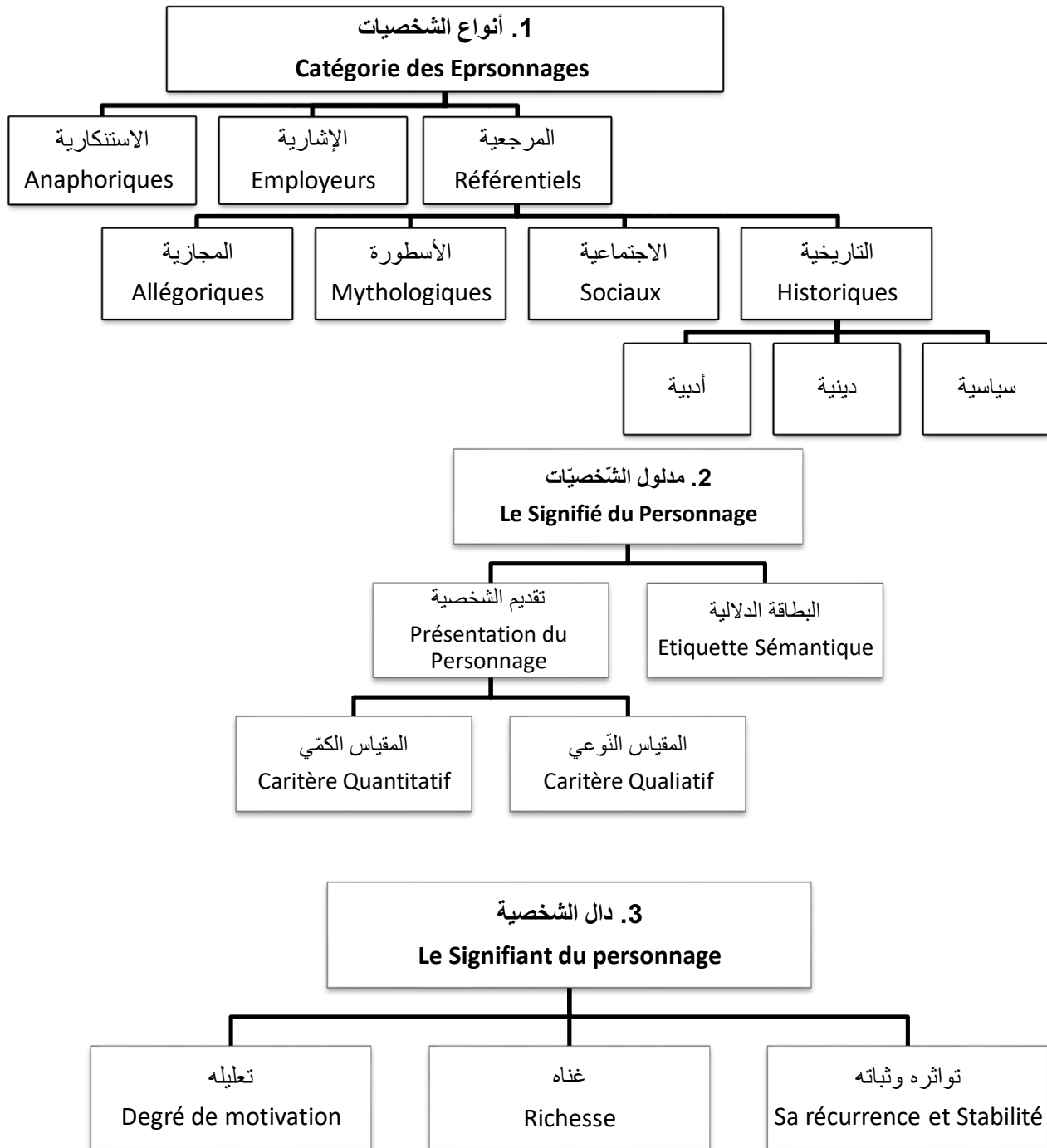
4. إشكالية مصطلح السيمياء بين الترجمة والمفهوم:

احتفت الساحة الأدبية بالمناهج النقدية لتحليل النصوص الأدبية وقد اجتهد الدارسون العرب في بلورة وإرساء منظوماتها المصطلحية انطلاقاً مما ترجموه من الغرب ونهلوه من التراث العربي وتنوّعت المناهج بين السياقية والنسقية، ومن بينها ارتأيت اختيار المنهج السيميائي لوضع مصطلح السيميائيات قيد الدراسة. بادئ ذي بدء علينا التنويه إلى أنّ المصطلحات في الدرس الأدبي تتسم بالزئبقية والنسبية فهو محمل بدلالات ثقافية ومعرفية ووليد بيئة وسياق معنيان ولهذا أحياناً المترجم يسلك المصطلح من بيئته دون إعطاء الاعتبار إلى الظروف المحيطة بالبيئة المستقبلية وخلفياتها ويكون "متجاهلاً خلفيات نشأتها الطبيعية ومهتماً فقط بما يلائم الإبداع الأدبي، بل إنّ الكثير من المفاهيم النقدية هجرت إلى البيئة النقدية العربية جاءت جاهزة قبل حتى أن تنشأ الأعمال الأدبية التي تنطبق عليها"⁴⁰، ولهذا وجب أخذ السياق والمقام بعين الاعتبار عند نقل المصطلحات من البيئة الغربية إلى حقل الدراسات العربية واعتماد صيغة واضحة موحدة، ولعلّ ورود لفظة بمصطلحين ومفهومين في اللغة الأصلية قد يكون عائناً كبيراً أمام المترجم رغم تمكّنه وامتلاكه ناصية اللغة.

وإذا انتقلنا إلى مصطلح سيمياء نرى أنّ في اللغات الأجنبية اللاتينية باللغة الفرنسية والانجليزية واليونانية (The semiotics / sémiotique / semeion) أمّا مقابلاتها باللغة العربية فهي ثرية جداً نذكر منها (علم السيمياء / السيميولوجيا / السيميائيات / السيميوطيقا / علم العلامات / علم أنظمة العلامات / علم الإشارة / علم الأدلة / السيميائيات / الدلالية) وقد ظهرت بوادرها الأولى مع العالم فرديناند دي سوسور (Ferdinand de Saussure) فهو الذي أعطى شرارة إرهاباتها الأولى وتنبأ بولادته حيث عرف اللغة واعتبرها نظام العلامات لتتوالى الجهود وتتنضح معالم (السيمياء) كمنهج نقدي قائم بذاته مع أمثال "تشارلز سندرس بيرس (Charles Sanders Pierce)، تشرفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov)، جوليا كريستينا (Julia Christina)، جيرار جينيت (Gerard Genette)، غريماس (Griemas)، جون كوهين (J. Cohend)، أمّا عند العرب نجد مثلاً وشيد بن مالك، سعيد بن كراء... أثروا الدرس العربي بمجهوداتهم.

وقد تفرّعت اهتماماتها لتشمل آليات تشتغل لتشرح البنية السردية وتتبع مهامها، وذكر مثلاً مجهودات فيليب هامون (Philippe Hamon) لتحليل الشخصية الروائية حيث أصبحت الآليات الإجرائية التي اقترحها في دراسات (Pour un statut sémiologique personnage) وترجمها سعيد بن كراد وقدم لها عبد الفتاح كيليطو في كتاب (من أجل تحليل سيميولوجي).

تمكّن بين "أهم وأغنى التيبولوجات الشكلية من الناحية الإجرائية تأتي من كونها قائمة على أساس نظرية واحدة تصفي حسابها مع التراث السابق ولا تتوسّل بالنموذج السيكولوجي والنموذج الدّراسي"⁴¹. ويمكن أن نوجزها في المخطّط التالي على سبيل التّوضيح:



رغم أننا لا ننكر المجهودات الغربية لإثراء الدرس النقدي إلا أن المتصفح للتراث العربي يجد أن مصطلح السيمياء كان بين طيات المعاجم لكن بمعاني مختلفة فهو من مادة "و س م" فمثلاً ابن عربي ذهب إلى أنها من السمة أي العلامة ونقول العلامة أما ابن منظور يقول: "العلامة مشتقة من الفعل سام الذي هو مقلوب وسمى وزنها فعلى ... والخيال المسومة هي التي عليها السيماء والسومة هي العلامة"⁴².

حتى في معجمه الوسيط ذهب إلى أنها تعني العلامة، السيماء الحسن وهي من أنواع السحر، واتقوا جميعهم على نفس المعنى وهذا ما يدل على وجودها في تراثنا لكن المعنى والسّياق والمعنى يختلف، وهنا يأتي دور أهل الاختصاص بتسطير كلّ ما هو مهم وبناء اللبّات الأساسية لاستصدار الجهاز المصطلحي الذي يتبنّى مفاهيم متباينة تمثّل عماد المنهج وملاذ الباحث.

5. خاتمة:

البحث في قضايا الدرس الأدبي والمناهج النقدية بحر واسع لا مرفأ له، اجتهد الدارسون من كلّ حذب وصوب إثراء لتثمينه وبلورة جهازه المصطلحي وهذا ما ذهبنا إليه سابقاً، وقد خلصنا إلى عدّة نقاط نذكر منها وقد عرضنا أيضاً أهم المطبّات والعراقيل التي يواجهها المترجم وأهل الاختصاص واقترحنا بدائل وحلول للحدّ والتخفيف من تفاقم هذه الإشكالية:

- للمصطلح دوره الفعّال والمهم في كلّ العلوم ومنها الدّراسات الأدبية والنقدية لأنّه بمثابة تأشير المرور بين العلوم وجواز السفر للباحثين للولوج إلى عوالمها.
- لا مناص للإقرار باجتهادات الدّارسين وأهل الاختصاص والمترجمين وتجنيدهم لإرساء وتأسيس بنك مصطلحات يبلور جهاز مفاهيمي في المناهج النّقدية السياقية والنسقية ومصطلح السيميائيات كعيّنة وأنموذجاً للدّراسة.
- تطوّرت العلوم واكتسحت جميع المعارف والعلوم بفعل الثقافة والتلاقح المعرفي ولهذا علينا مواكبتها ومجاراتها كما أنّ لنا مستودع العرب وهو التراث الذي بإمكاننا استثماره للنّهوض بالدرس النّقدية وبلورة جهاز مفاهيمي للمنهج النقدي السيميائي كأنموذج وعليه يمكننا المزج بين ما هو أصيل من التراث العربي وبين ما هو معاصر يأتي من الغرب للنّهوض بالدرس الأدبي العربي.
- برع المترجمون وأبدعوا لنقل المصطلح السيميائي إلى الساحة العربية وأعطوا له كم هائل من المقابلات كما أنّنا وجدنا بعض من بؤاده في معاجم عربية كمعجم الوسيط ورغم تباين وجهات النّظر إلّا أنّهم ثمّنوا الدرس النقدي باجتهاداتهم رغم الثغرات التي وقعوا فيها وتخبّط المصطلح في ظلّ غياب صيغة مصطلحية موحّدة.
- هناك حلول عدّة اقترحناها كفلة لتخفّف من حدّة العشوائية الذي يتخبّط فيها المصطلح النقدي والسيميائي على سبيل المثال والضبابية التي يتّسم بها لكثرة المقابلات ويمكن استدراكها مثلاً بتوحيد المجهودات وإنشاء مراكز بحث متخصصة من شأنها صياغة المصطلحات وصيانتها من التّعميم والتّعتيم.

الهوامش:

¹ مها خير بيك، اللغة العربية أصالة وتحديد في مواجهة العولمة، مجلة الكاتب العربي، العدد 67، 2005، ص 114.

- ² محسن حسن عبد العزيز، المصطلح العلمي العربي - المبادئ والآليات-، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد66، 2005، ص62.
- ³ عمر عيلان، فاضل دلال، المصطلح في استراتيجية النقد الأدبي- محمد مفتاح أنموذجًا-، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد24، مارس2012، 355.
- ⁴ المرجع نفسه، ص357.
- ⁵ جاسم محمد، إشكالية المصطلح في النقد الأدبي، مجلة الكلمة، العدد129، 2018، ص177.
- ⁶ عبد الله توام، أزمة المصطلح في المقاربة النقدية بالتعدد المنهجي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب والفنون، جامعة الشلف، العدد1، 2020، ص20.
- ⁷ خالد وليد، عثمان عبد المالك: التفكيكية بين الترجمة والتعريب - قراءة في إشكالية المصطلح في النقد العربي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، 2019، العدد56، ص13.
- ⁸ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الواحد وافي: دار النهضة، مصر، الجزء3، ط3، 1979، ص1240.
- ⁹ جاسم محمد، المرجع السابق، ص178.
- ¹⁰ مني محمد أورمضان، إشكالية ترجمة المصطلحات، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2011، 2012، ص15.
- ¹¹ عمار زعموش، مفهوم النقد الأدبي في نظر النقاد الجزائريين، مجلة عالم الفكر، المجلد30، ع 02، الكويت، 2001، ص100.
- ¹² جاسم محمد، المرجع السابق، ص179.
- ¹³ منتهى الحراحشة، من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات العربية الحديثة والمعاصرة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد6، العدد2، 2009، ص202.
- ¹⁴ عبد الله توام، المرجع السابق، ص20.21.
- ¹⁵ جاسم محمد، المرجع السابق، ص179.
- ¹⁶ إبراهيم أحمد ملحم، إشكالية المصطلح في الخطاب اللغوي والنقدي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، 2001، العدد33، ص97.
- ¹⁷ منتهى الحراحشة، المرجع السابق، ص205.
- ¹⁸ عبد الله توام، المرجع السابق، ص24.
- ¹⁹ منتهى الحراحشة، المرجع السابق، ص203.
- ²⁰ عبد القادر خليف، أحادية المصطلح وتعددية المفاهيم، مجلة مقاليد، الجزائر، 2014، ص168.
- ²¹ عبد المالك بن شافعة، إشكالية المنج في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست العدد1، المجلد10، 2021، ص50.
- ²² عبد الرشيد هميسي، إشكالية توظيف المصطلح النقدي السيميائي في الخطاب النقدي العربي المعاصر، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة فرحات عباس - سطيف-، الجزائر، السنة الجامعية 2011.2012، ص19.
- ²³ منتهى الحراحشة، المرجع السابق، ص205.
- ²⁴ عبد الله توام، المرجع السابق، ص21.
- ²⁵ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، 2008، ص59.
- ²⁶ عبد السلام مرسل، المصطلح النقدي عند عبد الملك مرتاض - المصطلح السيميائي أنموذجًا-، مجلة الكلمة، العدد178، 2022، ص36.

- ²⁷ عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2005، ص362.
- ²⁸ خالد وليد، عثمان عبد المالك، التفكيكية بين الترجمة والتعريب – قراءة في إشكالية المصطلح في النقد العربي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، 2019، العدد 56، ص14.
- ²⁹ منتهى الحراحشة، المرجع السابق، ص 215.
- ³⁰ عبد الغني بارة، المرجع السابق، ص135.
- ³¹ خالد وليد، عثمان عبد المالك، التفكيكية بين الترجمة والتعريب – قراءة في إشكالية المصطلح في النقد العربي ص16.
- ³² عبد السلام مرسل: المصطلح النقدي عند عبد الملك مرتاض – المصطلح السيميائي أنموذجا، ص41.
- ³³ عبد المالك بن شافعة، إشكالية المنهج في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، الجزائر، المجلد 10، العدد 1، 2021، ص44.
- ³⁴ عمر عيلان، فاضل دلال، المصطلح في إستراتيجية النقد الأدبي -محمد مفتاح أنموذجا-، ص357.
- ³⁵ رضا عامر، المناهج النقدية المعاصرة ومشكلاتها، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، الجزائر، العدد 14، ص134.
- ³⁶ خالد وليد، المرجع السابق، ص11.
- ³⁷ عبد المالك بن شافعة، المرجع السابق، ص54.
- ³⁸ عبد الغني بارة، المرجع السابق، ص279.
- ³⁹ عبد المالك بن شافعة، المرجع السابق، ص53.
- ⁴⁰ عبد الحميد ختالة، تأصيل المصطلح النقدي بين الترجمة والتعريب والبحث، مجلة مقاليد المركز الجامعي، خنشلة، الجزائر، العدد 2، ديسمبر 2011، ص117.
- ⁴¹ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2009، ص. 216.
- ⁴² ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد 11، ط5، 2005، ص41.
- قائمة المصادر والمراجع:**
- ❖ إبراهيم أحمد ملحم، إشكالية المصطلح في الخطاب اللغوي والنقدي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، العدد 33، 2001.
 - ❖ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد 11، ط5، 2005.
 - ❖ جاسم محمد، إشكالية المصطلح في النقد الأدبي، مجلة الكلمة، العدد 129، 2018.
 - ❖ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2009.
 - ❖ خالد وليد، عثمان عبد المالك، التفكيكية بين الترجمة والتعريب – قراءة في إشكالية المصطلح في النقد العربي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 56، 2019.
 - ❖ رضا عامر، المناهج النقدية المعاصرة ومشكلاتها، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، الجزائر، العدد 14.
 - ❖ عبد الحميد ختالة، تأصيل المصطلح النقدي بين الترجمة والتعريب والبحث، مجلة مقاليد المركز الجامعي، خنشلة، الجزائر، العدد 2، ديسمبر 2011.
 - ❖ عبد السلام مرسل، المصطلح النقدي عند عبد الملك مرتاض – المصطلح السيميائي أنموذجا، مجلة الكلمة، العدد 178، 2022.
 - ❖ عبد القادر خليف، أحادية المصطلح وتعددية المفاهيم، مجلة مقاليد، الجزائر، 2014.
 - ❖ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الواحد وافي: دار النهضة، مصر، الجزء 3، ط3، 1979.
 - ❖ عبد الرشيد هميسي، إشكالية توظيف المصطلح النقدي السيميائي في الخطاب النقدي العربي المعاصر، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة فرحات عباس – سطيف، الجزائر، السنة الجامعية 2011/2012.

- ❖ عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2005.
- ❖ عبد الله توام، أزمة المصطلح في المقاربة النقدية بالتعدد المنهجي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب والفنون، جامعة الشلف، العدد1، 2020.
- ❖ عبد المالك بن شافعة، إشكالية المنج في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة جامعة تامنغست العدد1، المجلد10، 2021.
- ❖ عمار زعموش، مفهوم النقد الأدبي في نظر النقاد الجزائريين، مجلة عالم الفكر، المجلد30، ع 02، الكويت، 2001
- ❖ عمر عيلان، فاضل دلال، المصطلح في استراتيجية النقد الأدبي- محمد مفتاح أنموذجا-، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد24، مارس2012.
- ❖ محسن حسن عبد العزيز، المصطلح العلمي العربي – المبادئ والآليات-، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد66، 2005.
- ❖ مها خير بيك، اللغة العربية أصالة وتحديد في مواجهة العولمة، مجلة الكاتب العربي، العدد 67، 2005.
- ❖ منتهى الحراحشة، من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات العربية الحديثة والمعاصرة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد6، العدد2، 2009.
- ❖ مني محمد أرمضان، إشكالية ترجمة المصطلحات، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2011/2012.
- ❖ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، 2008.